# علم الاجتماع العربي بين الواقع والمأمولة
## "دراسة لإمكانية الرؤية والتأصيل"

**د. سالم محمد الحاج.**
جامعة المرقب ، كلية الآداب والعلوم مسلاته، قسم الفلسفة وعلم الاجتماع،

**ملخص:**

يتراءى للباحث محاولات متعددة لأساتذة الاجتماع العرب لخوض غمار التغيير في طرق وأساليب البحث الاجتماعي المستندة إلى نظريات مستمدة من علم الاجتماع الغربي، سواء الأوربي أو الأمريكي، فلسنوات عدة اصطبغت البحوث في الجامعات العربية بسوسيولوجيا غربية صرفة، وكانت النظريات الغربية مثار اهتمام الباحثين.

وتنطلق هذه الدراسة من محاولة الباحث تقصي جهود السوسيولوجيين العرب لإرساء رؤية جديدة لقواعد ومناهج البحث، وأسس نظرية تنطلق من واقع المجتمع ذاته، ومدى قدرتهم على إنتاج نظريات مستمدة من الواقع العربي.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في بيان مدى قدرة الباحثين العرب على وضع رؤية لمسار علم الاجتماع وتأصيل الدراسات التي يقوم بها بمناهجه وطرق بحثه ونظرياته، وقدرتهم على إنتاج نظري يجاري ما يشهده العالم من تطورات في ميدان السوسيولوجيا.

وتتمثل أهداف الدراسة في البحث عن المدى الذي وصلت له جهود المؤسسين لمنهاج عربي في علم الاجتماع، وقدرتهم على تجاوز المشكلات التي تعيق الوصول إلى تأسيس وتأصيل الأطر النظرية اللازمة لدراسات تهتم بقضايا علم الاجتماع الأساسية.

وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي لتتبع جهود بعض العلماء من أجل تطوير البحث في علم الاجتماع، والمنهج الوصفي التحليلي لبعض الدراسات التي تناولت آراء كبار أساتذة علم الاجتماع ومحاولاتهم وضع رؤية جديدة، وتأصيل وتحديد إطار يتم من خلاله دراسة الواقع الاجتماعي.

ومن هنا فالبحث عبارة عن دراسة نظرية لجهود بعض المختصين العرب في علم الاجتماع حول بناء إطار نظري قادر على تقديم تفسير للواقع الاجتماعي، والمدى الذي وصلت له تلك الجهود في بناء نظري يُقلل من الاستعانة بالنظريات الأخرى.

**الكلمات المفتاحية:** النظرية ـ التنظير ـ العلوم الاجتماعية ـ الرؤية والتأصيل

## Abstract

It appears to the researcher multiple attempts by Arab sociologists to engage in change of the methods and styles of social research based on theories derived from Western Sociology, whether European or American.

This study stems from the researcher's attempt to investigate the efforts of Arab sociologists to establish a new vision for the rules and methods of research, and the foundations of theory stemming from the reality of society itself, and the extent of their ability to produce theories derived from the Arab reality.

The importance of this study lies in demonstrating the extent to which Arab researchers are able to develop a vision for the course of sociology and the originality of the studies it is carrying out with its curricula, research methods and theories, and their ability to produce a theory that matches the developments the world is witnessing in the field of sociology. The objectives of the study are to search for the extent to which the efforts of the founders of an Arabic curriculum in sociology have reached, and their ability to overcome the problems that hinder access to the establishment and consolidation of theoretical frameworks necessary for studies concerned with basic issues of sociology.

The study relies on the historical approach to trace the efforts of some scholars in order to develop research in sociology, and the descriptive analytical approach of some studies that dealt with the opinions of senior professors of sociology and their attempts to develop a new vision, and establish and define a framework through which to study social reality.

Hence, the research is a theoretical study of the efforts of some Arab specialists in sociology about building a theoretical framework capable of providing an explanation of social reality, and the extent to which these efforts have reached in theoretical construction that reduces the use of other theories.

**Keywords**: theory - theorizing - social sciences - Reality and originality

**مقدمة:**

لا يكاد دارس علم الاجتماع يتكلم عن الآباء المؤسسين لهذا العلم إلا ويذكر ابن خلدون، ومهما يتراءى لنا من حيثيات نحو توصيفه وتحليله للمجتمع في عصره، فإن دراسته كانت ذات أصالة وأسست لنظرية خاصة في دراسة التاريخ، وتقديم مقاربات نظرية في علم العمران البشري شكلت في مُجملها نظرة علمية ذات أصالة، وهذا مما يدفع بنا للخوض في موضوع هذه الدراسة التي تنطلق من حرص على التأكيد على إمكانية النهوض الآن، وبناء إطار معرفي عربي في العلوم الاجتماعية، يواكب التطورات العالمية في الدراسات الاجتماعية المنطلقة من خلال الواقع الاجتماعي، وفي هذا رافد مهم لمن يتصدى الآن للقيام بمهام في مجال علم الاجتماع، فالذي تمكن من انجازه ابن خلدون في العمران البشري قد يمثل حافزاً للسعي الجاد من أجل إثبات الوجود مرة أخرى على خارطة الدراسات الاجتماعية بشكل عام، وعلم الاجتماع بشكل خاص.

**أولاً مشكلة الدراسة:** يمر علم الاجتماع خصوصاء والدراسات الاجتماعية عند العرب بشكل عام بمرحلة نمو منذ فترة، ولم تتوقف النخبة عن العمل من أجل تجاوز الكثير من العقبات نحو تأصيل نتاج عربي يُركن إليه للقيام بدراسات ذات جدوى، ومن هنا تنطلق مشكلة الدراسة من تساؤل يقول: ما مدى قدرة السوسيولوجيين العرب على إرساء قواعد بحث ومناهج وأسس نظرية تنطلق من واقع المجتمع العربي؟

**ثانياً: أهمية الدراسة:** بيان الجهود المبذولة لإرساء دعائم إنتاج عربي في علم الاجتماع في ظل سيطرة المنهج الغربي لسنوات طويلة على سياق البحث فيه، ومع صعوبة المهمة بالنسبة لأساتذة علم الاجتماع العرب قديماً وحديثاً في توطين علم الاجتماع إن جاز التعبير، إلا أن هناك جهود من الباحثين العرب لوضع رؤية لمساره وتأصيل الدراسات التي يقوم بها بمناهجه وطرق بحثه ونظرياته، وهنا تكمن أهمية الدراسة لبيان مدى قدرة هؤلاء جميعاً على إنجاز مهمتهم، وما الذي يقف عائقاً أمام ذلك؟

**ثالثاً: أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة لمعرفة المدى الذي وصلت له محاولات أساتذة علم الاجتماع العرب، ومعرفة المحطات التي وصلوا إليها في تأسيس وتأصيل الموضوعات الخاصة بعلم الاجتماع من حيث الرؤية والدراسة وعلاقتها بالواقع الاجتماعي القائم.

**رابعاً: منهج الدراسة:** استخدام المنهج التاريخي لتتبع جهود بعض العلماء من أجل تطوير البحث في علم الاجتماع، والمنهج الوصفي التحليلي لبعض الدراسات التي تناولت آراء كبار أساتذة العلم ومحاولاتهم وضع رؤية جديدة، وتأصيل وتحديد إطار يتم من خلاله دراسة الواقع الاجتماعي.

**خامساً ـ مصطلحات الدراسة:** إن كان علم الاجتماع غني عن التعريف فإن بعض المصطلحات يتطلب توضيحها ومعرفة سياقها في البحث من حيث المعنى الإجرائي، ومن بينها:

الرؤية، فالرؤية لغةً من رأى يرى، ره، رؤيا فهو راءٍ، والمفعول مرئي. ورؤية مفرد، ج رؤى مصدر رأى. رأي مفرد آراء لغير المصدر، مصدر رأى حُكم وتقدير لعمل أو موقف معين وكثيراً ما يتأثر بالظروف والملابسات.[1]

والرؤية كما سبق: من رأى ـ وهي كذلك الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين، ورأى يرى رأياً ورؤية.[1] . وهي أيضاً المشاهدة بالبصر، وقد يُراد بها العلم مجازاً، وإذا كانت مع الإحاطة سُميت إدراكاً.[2]

---

[1] . أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، 2008م، ص 839.

والرؤية اصطلاحاً هي فعل الحس البصري، وتُطلق على إدراك بصري لما هو روحاني ومنه الوحي والإلهام، وتلتقي بهذا مع الحلم والرؤيا، وذهب ديكارت إلى أن الرؤية عمل ذهني يقوم على قوة الحكم بجانب أنه عمل بصري.[3]

وفي هذا البحث الرؤية هي العلم مجازاً وهي الإدراك كما ورد عند صليبا، وهي العمل الذهني القادر على بلورة رؤية جديدة لعلم الاجتماع.

أما التأصيلً: فهو من أصل يأصل، أصالة، فهو أصيل. وأصّل الموضوع: جعل له أصلاً ثابتاً يُبنى عليه، وتأصل يتأصل، تأصلاً، فهو متأصل، تأصل الشيء: مُطاوع أصل: صار ذا أصل ثابت، ترسخ وتعمق.[4]( عمر، 2008م ص 99)

وفي هذا البحث يعني التأصيل قدرة أساتذة الاجتماع العرب على وضع سياق للبحوث والدراسات، وإرساء مناهج قادرة على دراسة الواقع من خلال التأصيل المنطلق من حيثيات الواقع المادي والمعنوي، بما يتضمنه من قيم وسلوكيات وأعراف وعادات وتقاليد.

**الدراسات السابقة:** تناولت عدة دراسات مسألة العلوم الاجتماعية، وعلم الاجتماع، وبيان الحالة التي هو عليها، ويوجد شبه إجماع بين الباحثين على أن ثمة ضرورة لتغيير السياق الذي تسير عليه الدراسات الاجتماعية، ونظام أقسام علم الاجتماع، والبحوث الميدانية وغيرها.

وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى بعض الدراسات لملاحظة مسارها، ثم التعليق عليها فيما بعد، فهناك دراسة لـ مرجين، وبن عمران،[5] من ليبيا بعنوان: هل هناك حاجة لأقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية، تساءلا فيها عن أهمية دراسة علم الاجتماع أصلاً، وقالا: هل هناك حاجة إلى استمرار وجود أقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية؟

وتجيب الدراسة على ذلك بأنه: ليس هناك حاجة إلى مُخرجات أقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية، كون المجتمع ليس في حاجة إليها، وهذا يعني ببساطة شديدة أن أقسام علم الاجتماع يمكن تصنيفها من ضمن العلوم معدومة الأهمية أي "الصفرية" لاحتياجات المجتمع والتنمية. ويقدم الباحث جملة توصيات لتلافي نواقص علم الاجتماع والدفع به للانتقال من العلوم منخفضة الأهمية " الصفرية" إلى خانة العلوم مرتفعة الأهمية.

---

[1]. محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، انتشارات ناصر خسرو، طهران إيران، ص 180.

[2]. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص 604.

[3] . إبراهيم مذكور وآخرون، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المجلد الأول، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م، ص 90.

[4] . أحمد مختار عمر، مرجع سابق، ص 99.

[5]. حسين مرجين، سالمة بن عمران، هل هناك حاجة لأقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية؟. مجلة التغير الاجتماعي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد الثالث، العدد الأول، 2018م.

ومن الجزائر هناك دراسة لـ درنوبي،[1] بعنوان: علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية إرهاصات الماضي وتحديات المستقبل، ويوصف الباحث وضع علم الاجتماع بأنه كان ولا يزال دون آفاق مجتمعية، لا زال غريباً وبعيداً عن المجتمع، لأنه لم يولد من رحم هذا المجتمع، ولم تصلب عوده الثقافة المحلية، ولم تكن هويته الفكرية. وهناك تفضيل للمحتوى المعرفي القادم من الغرب الرأسمالي على الوارد من الدول الاشتراكية نظراً لسيطرة المفكرين الذين يفكرون باللغة الفرنسية والذين يفكرون باللغة العربية، من الذين كانت مصادر كتاباتهم إما مرجعيات ماركسية بصفة خاصة أو يسارية بصفة عامة، ويرى أن العلوم التي تنتج هذه المعرفة والعلوم التي تحولها إلى تطبيقات تكنولوجية لا تشعر بخطر على وجودها ولا على تمويلها، لأنها هي التي تنتج هذه المعرفة، ولأن الأدلة على صحة أدوات هذه العلوم ومناهجها ملموسة في التطبيقات القائمة على هذه المعرفة.

الذي يتعرض للخطر هو "الآخر العلمي" وهي العلوم الإنسانية التي تهتم بدراسة الجوانب الفكرية والقيمية والمعرفية للتجربة الإنسانية والسعي الإنساني من لغة وأدب وثقافة وفلسفة وتاريخ، والتي يرى كثيرون في العلوم الأخرى أن لها إسهام محدود في هذا التراكم المعرفي، وأن مناهجها في البحث غير محددة."

وهناك دراسة لـ بو قرة، وهمال،[2] بعنوان: علم الاجتماع في الوطن العربي، يرى فيها أن هناك في الفكر السوسيولوجي العربي جهود متفرقة نشرت باللغة العربية والأجنبية حول الملامح العامة لعلم الاجتماع في أقطار مختلفة من العالم العربي، وهذه الجهود العلمية تميزت بالبساطة ولم ترق إلى تأسيس نظري سوسيولوجي في الوطن العربي لأنها لم تصل إلى مرحلة التنظير لمختلف الظواهر الاجتماعية المنتشرة في المجتمع العربي، ومعالجة المشاكل الأساسية في المجتمع، إلا ما نقل عن الغرب من نظريات ومناهج.

ويطرح جملة من التوصيات يمكن بها تلافي نواقص العمل البحثي في علم الاجتماع منها: إعطاء الحرية للمشتغلين في مجاله لأنهم يعتبرون ملاحظين ومنتجين لخطاب علمي يساعد على إنجاح المخططات التنموية الاجتماعية، مع أهمية وجود نموذج إرشادي مُلتزم بقضايا ومشكلات الوطن العربي يعكس خصوصية هذه المجتمعات.

وهناك أيضاً دراسة إبراهيم البيومي،[3] بعنوان: حالة علم الاجتماع في المجتمعات العربية، رؤية نقدية في حالة علم الاجتماع، يرى فيها أنه لكي نتمكن من وصْف حالة علم الاجتماع" في مجتمعات العالم العربي وصفًا دقيقًا لابد من توافر قواعد معلومات منظمة وحديثة في هذا المجال، وتوافر هذه القواعد هو بمثابة "فعل الربط" الذي يمكننا من الوصول إلى "جواب الربط" وهو "وصف حالة علم الاجتماع في مجتمعات العالم العربي". ويجيب على ذلك بقوله: " ولكنَّ الحاصلَ هو أن مكوناتِ "فعل الربط" بالمعنى السابق مفقودة في أغلبها؛ فالتقارير المعلوماتية الدورية المتخصصة بعلم الاجتماع على مستوى العالم العربي لا وجود لها إلا بشكل جزئي وغير منتظم، والأدلة أو

---

[1] ـ سليم درنوبي، علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية إرهاصات الماضي وتحديات المستقبل، مجلة التغير الاجتماعي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد الأول، العدد الأول، 2016م.

[2] ـ كمال بوقرة، عبد المالك همال، علم الاجتماع في الوطن العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 16، 2015م، الصفحات 228 ـ 238.

[3] ـ إبراهيم البيومي، حالة علم الاجتماع في المجتمعات العربية، رؤية نقدية في حالة علم الاجتماع، مركز نهوض للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2019م، ص 4. 6.

الكشافات المتوافرة في هذا المجال نادرة جداً. والموجود منها "جزئي" أيضًا، ويختصُّ إما بإحدى الكليات الجامعية، أو بفرع من فروع علم الاجتماع، أو يقتصر على فترة زمنية محدودة"

ولا يزالُ "علم الاجتماع" في الجامعات العربية يحمل صفتين رئيسيتين التصقتا به منذ نشأته قبل نحو قرن تقريبًا: الأولى: هي التبعية للمدارس الغربية في مناهجِها وأدواتها وأُطُرها النظرية.

والثانية: هي افتقاد الهدف العام لهذا العلم لدى أغلب الذين يشتغلون به من أساتذة وطلاب ومؤسسات أكاديمية.

وهناك دراسة بن سعدة آمال وحسين غريب،[1] بعنوان: العلوم الاجتماعية في الوطن العربي بين استاتيكية التنظير، وديناميكية الواقع، حيث وضحا فيها أن معظم الأبحاث التي يقدمها الباحثون العرب في مختلف التخصصات تقف في أغلب الأحيان عند مرحلة الوصف دون أن تتجاوزها إلى مرحلة التفسير، فأغلب هذه الدراسات تدور في فلك السؤال: كيف حدثت الظاهرة؟ وكيف تتبدى في الطبيعة أو عند الوصول إلى المجتمع؟ دون الانتقال إلى السؤال التفسيري: لماذا حدثت هذه الظاهرة؟ ونستطيع القول أن علم الاجتماع في العالم العربي صحيح يعيش في أزمة، تمس مختلف الجوانب خاصة أزمة التكوين الجامعي في تخصصات علم الاجتماع، ولا نلتمس وجود نظريات من إنتاج عربي تستطيع دراسة وتحليل الواقع العربي المعاش خاصة في الوقت الراهن."

ومن خلال الدراسات المُشار إليها يمكن ملاحظة شبه اتفاق على أن علم الاجتماع العربي لم يصلب عوده بعد، وحتى مع طول مدة ظهوره في الجامعات العربية، فيما يفوق 60 سنة، وهذا ما يدفع للبحث عن مدى قدرة الجهود التي بذلها الرعيل الأول من مفكري العالم العربي لرسم خارطة طريق يمكن أن تؤدي إلى تكوين رؤية محددة، وتأصيل يرقى لمستوى يسمح له بفك الارتباط بالنظريات والمناهج الغربية.

وبعد إلقاء النظر على ما ورد في هذه الدراسات يمكن استخلاص بعض النقاط التي من شأنها أن تُعطى صورة مبسطة عن طبيعة علم الاجتماع في البيئة العربية:

أولاً- تفرق الجهود وبساطتها حول الملامح العامة لعلم الاجتماع.

ثانياً- علم الاجتماع" في الجامعات العربية يحمل صفتين رئيسيتين هما: التبعية للمدارس الغربية في مناهجِها وأدواتها وأُطُرها النظرية.، وافتقاد الهدف العام لهذا العلم.

ثالثاً- معظم الدراسات وصفيه وغير تفسيرية

رابعاً- لا يزال علم الاجتماع دون آفاق مجتمعية، فهو غريب عن المجتمع، ولم يكون هويته الفكرية.

خامساً- التقارير المعلوماتية الدورية المتخصصة بعلم الاجتماع محدودة، والأدلة أو الكشافات المتوافرة في هذا المجال نادرة جدًّا.

ومن خلال هذا يمكن استنتاج الآتي: تعطينا التحليلات التي خرجت بها هذه الدراسات صورة محبطة عن وضع علم الاجتماع عند العرب، ولكنها في المقابل تشكل حافزاً للباحث لمزيد التقصي حول هذا الأمر، ومن هنا يأمل أن تتمكن هذه الدراسة من إماطة اللثام عن جزء منير من جهود من سبق، ومن هو قائم بالعمل الاجتماعي الآن.

**النظرية في علم الاجتماع:**

---

[1]- آمال بن سعدة حسين غريب، العلوم الاجتماعية في الوطن العربي بين استاتيكية التنظير وديناميكية الواقع، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، المجلد 2 العدد 5، 2017م، الصفحات 50/38.

يقول إيمانويل فالرشتاين: "شغلت بين عامي 1994 و 1998م منصب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، وقد حثثت الجمعية على أن تضع نصب عينيها ضرورة إعادة تقويم المعرفة الاجتماعية الجماعية التي ينطوي عليها العلم الاجتماعي على ضوء ما رأيت آنذاك أنه سيكون عالماً قد تحول تحولاً تاماً في مطلع القرن الحادي والعشرين، وحيث إنه كان متوقعاً مني، بصفتي رئيساً للجمعية الدولية أن أتحدث إلى علماء الاجتماع وعلماء اجتماعيين آخرين في العديد من اللقاءات، فقد قررت أن أواصل هذا الإلحاح وأستخدم تلك المناسبات لوضع الخطوط العريضة لمسألة علم اجتماعي ندخل به للقرن الحادي والعشرين"[1]

وحسب رأي فالرشتاين أن القرن الحالي أكثر صعوبة وأكثر تشويشاً ولكنه أكثر انفتاحاً من أي مرحلة عرفناها في القرن العشرين" ويطرح ثلاث مسلمات:

المسلمة الأولى: الأنساق التاريخية شأنها شأن الأنساق كافة لها أعمار محددة، إن لها بداياتها، تليها فترة تطور طويلة، ثم تصير أخيراً إلى زوال بعد أن تبعد عن نقطة التوازن وتصل حدود التفرّع والهلاك.

الثانية: ثمة أمرين مؤكدين حول نقاط التشعب هذه" فالمدخلات الصغيرة ينجم عنها مُخرجات كبيرة، كما أن الحصيلة النهائية لهذه التفرعات هي في صميمها غير محددة أو معروفة سلفاً.

الثالثة: النسق العالمي المعاصر بوصفة نسقاً تاريخياً قد دخل أزمة الاحتضار، وأنه من غير المحتمل أن يبقى قائماً بعد خمسين سنة من الآن.*

ويستطرد في طرحه فيقول: هذه مجرد مسلمات قد لا تقتنع بها لأنني لا أجد متسعاً من الوقت لأعرض حجتي فيها" ويستخلص منها الاستنتاجات الآتية:

الأول: التقدم خلافاً لكل ما دعا إليه عصر التنوير بأشكاله كافة، ليس أمراً محتماً على الإطلاق، بيد أنني لا أقبل بأنه على هذا الأساس أمر مستحيل.

الثاني: هو أن الاعتقاد بالأمور اليقينية وهو من المسلمات الجوهرية للحداثة أمر خادع ومحبط، فالعلم الحديث، أي العلم الديكارتي ـ النيوتوني، يقوم على حتمية اليقين، والافتراض الأساس هو أن ثمة قوانين موضوعية شاملة تحكم الظواهر الطبيعية كافة، وأنه يمكن التحقق من هذه القوانين.

الاستنتاج الثالث: هو أن أكثر الأنساق تراكُباً في الكون هي الأنساق الاجتماعية البشرية، مما يجعل تحليلها هو الأكثر صعوبة، ويضفي طابع الديمومة على النضال من أجل إقامة مجتمع صالح.

الرابع: الشك واللايقين أمر مدهش، وأن اليقين إذا ما تحقق سيكون بمثابة موت أخلاقي، وإذا كنا متيقنين من المستقبل، فلن يكون لدينا دافع أخلاقي لفعل أي شيء وسنكون لدينا كل الحرية للانغماس في كل ما يراودنا من نزعات، وسنسعى إلى إرضاء ما يختلج في نفوسنا من نزوات ذاتية أنانية، لأن جميع الأفعال تقع آنذاك في حدود اليقين الذي رسمناه لأنفسنا، وإذا كان كل شيء يفتقر إلى اليقين فإن المستقبل سينفتح على الإبداع لا الإبداع الإنساني فحسب، بل الإبداع في الطبيعة برمتها.[2]

---

[1]ـ إيمانويل فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه نحو علم اجتماعي للقرن الحادي والعشرين، ترجمة، فايز الصيّاغ، هيئة البحرين للثقافة والآثار، الطبعة الأولى، 2017م، ص13.

*كلمة للكاتب ألقيت في منتدى 2000 هموم وآمال على أعتاب الألفية الجديدة، براغ، 3 ـ 6 أيلول سبتمبر 1997م.

[2] ـ إيمانويل فالرشتاين، مرجع سابق، ص 20/17.

وفي هذا السياق نجد الحوراني،[1] وهو يتحدث عن النظرية والإنتاج العلمي للأساتذة العرب يقول: "أما على مستوى تطوير النظرية السوسيولوجية وإنتاجها بالنسبة لعلماء الاجتماع العرب فيبدو الأمر لا يعنيهم، وغالباً ما يميلون إلى طراز فكري استهلاكي، وأكثر إبداعاتهم تتجلى في أعمال نظرية تجميعية، أو ترجمات متفرقة هنا وهناك لمؤلفات معينة في النظرية، إنني لا أقلل من قيمة الامبريقية، ولا المؤلفات المترجمة، ولا التجميعية، بل أدعو إلى فك القيد الفكري، وتجاوز هذه الحالة الاغترابية، تمهيداً لفهم أنفسنا، وواقعنا والمساهمة في الفكر السوسيولوجي العالمي."

ويستطيع طلبة الدراسات العليا ومن له اهتمام بالبحث الحصول على عدة كتب من إنتاج عربي وهي تتحدث عن النظرية الاجتماعية، ولا يجد حرجاً في أن محتواها نظريات غربية صرف، وكيف لأي كان أن ينقد مترجمها أو مؤلفها، فهو قد بذل جهداً كبيراً في ذلك، ومن السهولة أن تبرئ نفسك، لكن الواقع العلمي لن يبرئ أحد.

غير أننا كثيراً ما نجد تفوق الآخرين لم يكن للقوة التي يملكونها إنما يرجع لضعف الطرف المقابل، ففي مجال العلوم الاجتماعية عادة ما يتم إلقاء اللوم على الفكر الغربي وكونه لا يتماشى مع البيئة العربية، وتمتلئ الكتابات في العلوم الاجتماعية بكم هائل من البحوث والكتب التي تدعو للانعتاق من السيطرة الغربية على الفكر الاجتماعي، وإرساء دعائم جديدة تتماشى والقيم والأعراف والمحددات الاجتماعية المختلفة عن الغرب، ويود الباحث الإشارة إلى أن إلقاء اللوم على الظروف، أو على الآخر كونه الأقوى ويستطيع بسط سيطرته الفكرية، فإن هذا مدعاة للرثاء للحال الذي وصل له واقعنا العلمي.

إن أي باحث في أي علم من العلوم لا غنى له عن نظرية توجهه في جمعة للوقائع المتعلقة بالظاهرة التي يريد دراستها أو في اختباره للفروض التي يضعها وفي اختياره للمنهج وللأدوات التي يستخدمها في دراسته، فبدون هذه النظرية يتخبط في جمع معلوماته بحيث تأتي غير مترابطة ثم يعجز في النهاية عن إضفاء معنى عليها أو تفسيرها، ولكن أي نظرية سيختار من بين هذا الحشد من النظريات المتضاربة في ميدان علم الاجتماع؟ وعلى أي أساس تكون مفاضلته بين هذه النظريات."[2]

وإذا كنا نفترض أن النظرية الاجتماعية المعاصرة قد نشأت غربية بالأساس، فإن بروز أنماط جديدة من المجتمعات في أعقاب الحرب العالمية الثانية (المتقدمة والنامية والمتخلفة) من شأنه أن يساعد على تطوير مقولات تستوعب في بناء النظرية العامة بما يوفر لها مخزوناً معرفياً متراكماً، يجعلها قادرة على فهم ودراسة الواقع المتباين، بذات المقولات، وهنا يمكن القول بأننا قد بلغنا شاطئ النظرية الاجتماعية العامة."[3]

ويمثل انهيار الكنيسة الكاثوليكية تحت وطأة انتصار الثورة البروتستانتية أول هذه الأحداث، حيث أنهار معها بناء كل من القيم....ومن ثم شكلت نظريات العقد الاجتماعي... أما الواقعة الثانية فقد تمثلت في الثورة الفرنسية ...

---

[1]. محمد الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المجدلاوي، الطبعة الأولى، 2008م، ص 18.

[2]. سمير نعيم أمين، النظرية في علم الاجتماع، دار الهاني للطباعة والنشر، الطبعة العاشرة، 2006م، ص 10.

[3]. علي ليلة، بناء النظرية الاجتماعية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت ، ص 19.

وقد تعلق فكر هذه المرحلة قد تعلق أساساً بالإنسان، كيف نحفظ له هويته في مواجهة المجتمع الذي خلقه، بينما نجده الآن يقهره. ...وتعتبر الثورة الصناعية هي الواقعة الثالثة التي صاحبت ولادتها حالة من الفوضى وانهيار التنظيم الاجتماعي في بعض جوانبه... وانعكاساً لذلك تأسس نظام من التفكير يحاول إعادة تنظيم الواقع الاجتماعي بما يخلق علاقة متوازنة، حيث نظام اجتماعي يلائم تحقيق إمكانات الإنسان في مواجهة إنسان قادر على التفاعل مع الآخر بما يدعم الوجود الاجتماعي ويشبع حاجاتهما معاً في إطاره"[1]

ولا يكاد الباحث في العلوم الاجتماعية يختار موضوع دراسته حتى يجد نفسه في سباق مع الزمن لإيجاد النظرية التي يمكن لها أن تضفي على هذا البحث المصداقية بالدرجة الأولى، ثم التفسير لما يمكن أن يصل له من نتائج، ولذا تغلغلت في مخيال الطالب العربي المعرفي ضرورة الاستعانة بالنظريات الغربية، وهي نظريات تم استقاؤها من مجتمعات غربية، وفي ظروف مختلفة تماماً عن ظرف المجتمع العربي، سواء من حيث البنية والتكوين، أو حتى من ناحية الزمن، ولذ نجد أنفسنا أمام إشكاليات كبيرة فيما يخص استخدام ما توصلت له الدراسات الاجتماعية الغربية.

**التنظير:**

في العالم العربي هناك نهج يسير ببطء نحو إنتاج دراسات للمواضيع الاجتماعية العربية مبنية على دراسة الواقع، إلا أنها تستند على مقولات النظريات الغربية، وربما سارت على نفس النهج في تفسير نتائج البحث، وهو ما لا يتطابق مع السياق التاريخي والاجتماعي العربي، وربما تتحسن الظروف، ويتمكن الخبراء العرب في علم الاجتماع من انجاز بحوث مشتركة، تعيد البريق لما سبقهم إليه ابن خلدون منذ مئات السنين. "هناك انقلاباً يحدث الآن في بناء التنظير الاجتماعي يتمحور حول استبدال الإدراك الموضوعي بالإدراك الذاتي للباحث عن المعنى، وحيث يستبدل التفسير بالتأويل ويستبدل الفهم بالتفهم، يسعى هذا الانقلاب الفكري إلى إدراك الواقع باعتباره جمعاً من العناصر التي تغيب عنها أية تنسيقية. "[2]

وحاول بعض الأساتذة العرب مجاراة الآخرين في الإنتاج العلمي خاصة فيما يتعلق بالتنظير، وفي هذا يمكن أن نجد علي ليلة يسعى لإقامة مشروع في هذا السياق، ويقدم لأحد كتبه بالآتي: ينتمي هذا الكتاب إلى التنظير الاجتماعي الذي يتأمل تفاعل الحضارات، من منظور العلاقات المتشابكة، بين الحضارة الغربية من ناحية وحضارتنا الإسلامية العربية من ناحية ثانية. حيث تتناول مضامين الكتاب تحليل هذا التفاعل من خلال ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول: يدور حول افتقاد الحضارة الغربية لنموذجها الأخلاقي والمعنوي الموجه، ومن ثم فقد شرعت تطرق سبيل تطورها من خلال منطق تجريبي يستند إلى المحاولة والخطأ، الذي وأن مكنها من تحقيق لإنجازات هائلة على المستوى المادي، إلا أنه أضر بأخلاقها ومعانيها حتى تلبستها روح شريرة.

والثاني: يتمثل في سعي الحضارة الغربية لاختراق فضاءنا الحضاري، بخاصة النطاقات المتعلقة بالأسرة والمرأة والشباب، فأنتجت على ساحتها أثار سلبية عديدة.

---

[1] . نفس المرجع، ص 22.

[2] ـ نفس المرجع، ص 12.

في حين يدور المحور الثالث: حول البحث عن الآليات التي بواسطتها يمكن توجيه التفاعل الحضاري بما يؤكد استفادتنا من إيجابياته، وتجنب سلبياته، وبما يفيد في دفع عجلة التحديث والتطور في مجتمعنا المصري المعاصر. "[1]

ومن خلال ما قدمه من أفكار، يكون قد وضح الإطار العام القائم، ويبقى على من له اهتمام بالموضوع استكمال هذا التوجه.

**الرؤية والتأصيل:**

يجتاح هوس التخصص العلمي ردهات الجامعات ومراكز البحوث ـ وهو مفيد ولا شك ـ وأصبح التخصص الدقيق مثار تمّيز واهتمام، وغدا استقلال كل علم بذاته أمر بديهي، ويبدو الأمر وكأنه هذا هو السياق الصحيح الذي يسمح بازدهار وتقدم وتطور البحوث العلمية، ويمكن لك أن تجد من يورد لك عشرات الأدلة على أهمية ذلك من خلال سرد الانجازات العلمية التي تحققت للبشرية من خلال هذا النسق.

ولا تجد مناص من أن تجاريه في حججه حتى النهاية، وإن سمع عن أن تفكيك العلوم والتطرف في التخصص الدقيق قد يؤدي إلى غير ما خُطط له، سيعتبر الحديث من قبيل الترف العلمي، فما ترسخ في الذهن لسنوات طوال لا يمكن أن يُمحى بسهولة إلا بنور البصيرة.

وعندما يُقال أن نشأة العلوم الحديثة بمناهجها الحالية وتطورها كان في ظل أوضاع خاصة في الدول الأوربية، في كنف الصراع بين الكنيسة والعلم، وهو أمر خاص بهم، عندها يتطوع المدافع عن رفعة شأن العلم والتغاضي عن التأصيل له بما تعرض له جاليلو الذي لم تقبل الكنيسة اكتشافاته التي تتحدث عن مركزية الشمس، واعتبرتها هرطقة وعليه أن يبتعد تماماً عن تلك الأفكار.

"وقد واجه المختصون في علم الاجتماع عدة عقبات وعوائق حالت دون تأسيس علم اجتماعي عربي يهتم بتاريخ المجتمع العربي ومشاكله، فاعترفوا بعقم النظرية وقصور المنهج الذي يستخدمه." [2]

إن المعرفة في العلوم الاجتماعية وإن كانت تتأثر بخصوصية المكان والزمان، أحدهما أو كليهما، وخصوصية كل من المجتمعات، إلا أنه يمكن التركيز على ما هو مشترك، أن نستخدم الخصوصية في تعديل المعرفة القائمة، للوصول إلى معرفة عالمية مشتركة، ورغم هذا فلابد من الحذر الشديد في محاولة الاستفادة من معرفة بنيت على واقع آخر، أو حتى في ما وضع للمفاهيم فيها من معان، وإذا كان الاستئناس بهذه المعرفة في تصور الواقع المحلي،

---

[1] - من تقديم لكتاب: علي ليلة،النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع، مكتبة الانجلومصرية، الطبعة الأولى، 2015م.

[2] - سهى حمزاوي، سامية كواشي، إشكالات علم الاجتماع في الوطن العربي، قراءة تحليلية لاعترافات بعض علماء الاجتماع العرب، مجلة العلوم الاجتماعية العدد 28، مارس، 2017م.

إلا أن الأصل في علاقة النظري بالواقع أن لا يفرض النظري على الواقع، وإنما يتم بناء النظري وتعديله على أساس الواقع، ولهذا لا نتصور صحة قيام علم اجتماع خاص بجماعة أو فئة، إلا من حيث ما أسهم به أفراد من هذه الجماعات أو الفئات أو المجتمعات في تشكيل العلم وتطوره." [1]

وأرجع بعض الباحثين أزمتها إلى أزمة المشغلين بهذه الحقول، حيث تسعى كفئات مهنية لتحقيق مآربها الخاصة على حساب الدارسين لها، و هناك من أرجعها إلى طبيعة النظم السياسية التي تمارس التضييق على باحثيها، وتجرم ممارسيها خاصة ما تعلق منها بالنقد الاجتماعي اللاذع للأوضاع القائمة، ومنهم من ربطها بأزمة التعليم العالي في العالم العربي، و إلى طبيعة المنظومات الثقافية والمجتمعية التي لا تحفز على البحث العلمي، وقد طال علم الاجتماع الكثير من النقد بعد الوعود والآمال التي حملها في مرحلته التأسيسية باعتباره علم يبحث في القضايا المجتمعية، يمكن أن يساعد المجتمع العربي على تجاوز المشكلات الاجتماعية الحضارية التي يعاني منها، فأصبح هو في حد ذاته عبئ على المجتمع العربي، مما دفع الكثير من الباحثين لطرح تساؤل عن طبيعة الخلفية الفكرية لأزمة هذا العلم"[2]

**علم الاجتماع بين النقد والتأييد:**

للعلوم فلسفة وتاريخ، ومن غير الممكن حصر العلم في مكان، أو زمان، فالبشرية جمعاء ساهمت في التطور الذي يشهده العالم اليوم، وسواء كانت العلوم تطبيقية، أو اجتماعية فهي نتاج إنساني، لراحة ولرفاهة البشرية، ومهما سمعنا عن مآلات العلوم الاجتماعية، وعلم الاجتماع بوجه خاص في البيئة العربية فإن منطلقاته كانت عربية في الأساس، ومع احتساب فترة الركود التي استمرت لقرون، إلا أن ظهور العلم من جديد على أيادي غربية لا ينقص بحال من جهود من سبق، وعلى أيه حال، فإن فريقاً من طلبة العلم العرب ارتأوا التخصص في هذا المجال، ودفعت بهم دولهم للتزود من علوم الآخرين، فكانت البعثات الدراسية متعددة التخصصات، ورجع الطلاب وكلهم أمل في النهوض ببلدانهم، وعلى رأي عبد اللطيف، "فقد انخرط الجيل الأول من الباحثين المشتغلين بحقول العلوم الإنسانية المختلفة في علم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد، ومختلف الفروع التخصصية للعلوم المذكورة، انخرطوا في عمليات الإنجاز الساعي إلى تشخيص طبيعة الظواهر المدروسة، مع محاولات متعددة للتفسير والتأويل لم تبلغ درجة صياغة سؤال التأصيل، ولعلها اكتفت بما يمكن أن يطلق عليه التمهيد الفعلي لإمكانية صياغة هذا السؤال، وذلك بحكم جملة من العوامل التي ظلت تتحكم في إنتاجها العلمي، ونذكر منها على وجه الخصوص نقص الإمكانيات والاعتمادات المخصصة للبحث العلمي، وعدم إدراك الفاعلين السياسيين لأهمية وجدوى المعرفة العلمية في مجال الدراسات الإنسانية."[3]

---

[1]- إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008م، ص 15.

[2]- عبد الحليم مهورباشة، التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع، مقاربة في إسلامية المعرفة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، جامعة سطيف02، الجزائر، 2014م.

[3]– كمال عبد اللطيف، تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر: الشروط المعرفية والتاريخية، منبر الحوار، دار الكوثر، لبنان، 2017م، ص 87 ـ107 .

وعودة للسياق التاريخي والاجتماعي الذي لعب دوراً كبيراً في تحديد آليات البحث المتبعة لدراسته، ففي المنطقة العربية ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، ونيل أغلب الدول استقلالها بدأ تيار البحث العلمي يأخذ طريقه للظهور، واهتمت العديد من الدول بالتعليم وتم إيفاد ألاف الطلاب للدراسة بالدول الأوربية وأميركا وكندا، وغيرها، وقد تمكن القسم الأكبر منهم من إتمام دراسته ورجع إلى الوطن.

ولا شك في أن التكوين العلمي لهؤلاء كان على النسق الغربي، ومع اعترافنا بان العلوم لا حدود لها وأنها لكل البشرية إلا أن أدوات البحث والأطر النظرية المستخدمة في الدراسة خاصة في مجال العلوم الإنسانية قد تكون الأكثر حساسية لا لشيء إلا لارتباطها بالسياق التاريخي والاجتماعي الذي اشرنا إليه آنفاً، وعلى كل حال يمكن لنا ملاحظة استمرار الدراسات العربية على نفس المنوال منذ تاريخ أولى الدفعات التي ذهبت لتلقي العلوم في الغرب إلى الآن، ويأتي هذا البحث لملاحظة إن كان ثمة بارقة أمل في النهوض بطرق وآليات البحث وإنشاء الإطار النظري الذي ينبثق من خصوصية المجتمعات العربية حتى يمكن تكوين سياق معرفي خاص، يكون قادرا على الإجابة عن التساؤلات الكبرى، وإيجاد مسار معين يمكن الاستناد عليه في دراسة المواضيع المنبثقة من الواقع الاجتماعي، حتى يكتمل البناء المعرفي النظري في العلوم الإنسانية، ويكون بالإمكان الدخول في مرحلة التأسيس.

فمن خلال المعايشة اليومية للوسط الجامعي، ومن خلال ملاحظة نوعية البحوث التي تُجرى في جامعاتنا في مجال العلوم الإنسانية، سواء بحوث تخرج الطلبة، أو بحوث الترقية التي تُنشر في مجلات علمية محكمة، أو البحوث التي تُنشر في المؤتمرات والندوات العلمية، نجد الباحث يحرص وبشدة على بيان الإطار النظري والنظرية التي يستأنس بها، مع الإشارة إلى الدراسات السابقة التي درست الموضوع مناط البحث، وعادة ما يتم الاسترشاد بدراسات عربية وأجنبية.

ويرد عادة في أدبيات العلوم الاجتماعية أن بحوثها تعتمد أسلوب البحث العلمي، وأن نظرياتها تم استقاؤها من دراسات امبريقية متعددة، استُخدمت فيها مناهج وطرق بحث علمية، وهي في ذلك تحاول اللحاق بما حققته العلوم التطبيقية من تقدم في مجالها، وما قدمته للبشرية من نظريات ساهمت بشكل كُلي في تغيير الحياة على سطح الأرض.

وقد تساءل الكثير من أساتذة علم الاجتماع عن جدوى الاستعانة بالنظريات الغربية في تفسير الظواهر الاجتماعية بالمجتمعات العربية، فكانت لهم عديد الدراسات لبيان آليات التحول والتأسيس الممكن تقديمها.

فما هي أهم المحطات التي يمكن لنا سردها والتي تشكل حجر الزاوية في انطلاقة العلوم الإنسانية والاجتماعية بكل اهتمام:

في مصر التي تعد من أولى الدول التي بدأت بافتتاح أقسام علم الاجتماع بجامعاتها نجد الكثير من الأساتذة يعبرون عن قلقهم من عدم التمكن من الإلمام بحيثيات التأسيس والتأصيل لهذا العلم على المستوى العربي، وقلقهم من استمرار الهيمنة الغربية عليه.

وفي هذا السياق يمكن أن نبرز المحطات الآتية:

تاريخيا كانت مصر من أولى الدول العربية التي أرسلت طلبة للدراسة بالخارج، وتمكن العديد منهم من التكوين والوصول إلى درجات علمية متقدمة، بل ونبغ الكثير منهم في مجالات العلوم المختلفة وما زالت بصماتهم في تاريخ العلم.

الذي يهمنا في سياق بحثنا هذا هو مدى قدرة هؤلاء على نقل العلوم التي تحصلوا عليها إلى مصر، ومدى قدرتهم على فهم جوانب المجتمع المصري، ومشاكله وقضاياه الاجتماعية، وما هي الطرق التي استخدموها في دراسته، والى إي مدى كانت هذه الدراسات ملبية للحاجة الفعلية للبحث العلمي الذي يمكن أن نستند على نتائجه.

شكلت التجربة المصرية مثالاً حياً لما مر به العرب بشكل عام، فالأساتذة المصريين انتشروا في الكثير من ربوع العالم العربي، ونقلوا معهم أفكارهم ورؤاهم، وطرق تدريسهم وبحثهم، وسار العرب على نفس النهج، ومن ثم فإن أي جهود فردية من أي قطر قد لا تغني، ولذا فتآزر الجميع قد يعمل على خلق المناخ الملائم للتغيير.

ولا يختلف الأمر كثيراً سواء في مغرب الوطن أو في مشرقه، فمحاولات المغاربة بناء أساس معين لعلم الاجتماع ينطلق من تطلعهم الدائم لانجاز شيء ما مسترشدين بإسهامات العلامة ابن خلدون، وكثيرا ما نجد الكتابات المغربية تتخذ طابعا فكريا على خطى ابن رشد، وابن خلدون.

ويمكن إلقاء نظرة على ما كتبه ابن خلدون، إذ يقول: "وأنا من بعدها موقن بالقصور بين أهل العصور، معترف بالعجز عن المضا في مثل هذا القضا راغب من أهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعمد لما يعثرون عليه بالإصلاح والاغضا، فالبضاعة بين أهل العلم مزجاة، والاعتراف من اللوم منجاة، والحسنى من الإخوة مرتجاة."[1]

وهذا مما يدل عل تركه الباب مفتوحاً للنقد، وهو ما يشير بوضوح إلى تفتح آفاق المعرفة، والحرص على الوصول إلى الحقيقة، التي هي من سمات العلماء.

وحرص أساتذة علم الاجتماع على ترجمة الدراسات الغربية في مختلف فروع العلم، وإن كان الهدف العام للعلم كما وضحه حجازي، بأن "لكل جهد في علم الاجتماع وظيفتين: أولاهما وظيفة علمية تتمثل في إرساء قواعد العلم والعمل على تقدمه، وتوفير فهم موضوعي للواقع الاجتماعي. والوظيفة الأخرى وظيفة اجتماعية، تتحقق بالإسهام في رفع وعي الإنسان بنفسه ومجتمعه والعالم والكون، وترشيد تعامله معها."[2]

وعند حديثه عن واقع علم الاجتماع في العالم العربي لم يجد بُداً من الاعتراف بأن أي "نظرة تحليلية نقديه لواقع العلم تنتهي بنا إلى أنه يمر بأزمة: فقد نشأ وتطور، وما زال هزيلاً، لا يوفر مقولات نظرية خصبة قادرة على الإيحاء بأفكار تعين على النماء والتجدد، منعزلاً أو مغترباً عن الواقع الاجتماعي الحي، والذي انتهى به إلى أخلاقي تجريدي، في إطار الوضع القائم وفي حدود ما يسمح به، وبدلاً من أن يكون وسيلة لتحرر الوطن العربي وتقدمه ووحدته، فإنه يساعد بقصد وبدون قصد في تكريس التخلف والتبعية والتجزئة هذا المصير هو أنه نشأ وتطور مرتبطاً ـ بشكل ما ـ بمؤسسة الحكم، قانعاً بالنقل والتقليد، مكتفياً بمهمة وصف الأمور البسيطة، والبحث عن علاج لأهون المشكلات الاجتماعية من منظور أخلاقي تجريدي، في إطار الوضع القائم وفي حدود ما يسمح به، وبدلاً من أن يكون وسيلة لتحرر الوطن العربي وتقدمه ووحدته، فإنه يساعد بقصد وبدون قصد في تكريس التخلف والتبعية والتجزئة."[3]

---

[1] ـ ابن خلدون، تحقيق أ.م.كاترمير، عن طبعة باريس 1858م، المجلد الأول، مكتبة لبنان، ص 8.

[2] – محمد عزت حجازي وآخرون، نحو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، 1989م، ص 13.

[3] ـ محمد حجازي، المرجع السابق، ص 13 ـ 14.

ويؤكد الحوراني، "إن علماء الاجتماع العرب يصرون على ممارسة الحياد والهامشية فيما يتعلق بالقضايا المصيرية والهامة، ويقترنون أكثر فأكثر بإمبريقية حرفية مشوهة، تسطح الواقع، ولذلك يبدو علم الاجتماع العربي، أي علم الاجتماع كما هو حاضر في ممارسات علماء العرب تكييفا وتبريرياً وإنسحابياً أكثر من كونه إبداعياً وثورياً وتجديدياً."[1]

ويعتقد بلغيث، أن "العلوم الاجتماعية في العالم العربي التي مر عليها حيناً من الزمن ظلت طيلة هذه الفترة تقريباً تستهلك ما تنتجه الآلة الأجنبية من مفاهيم وتنظيرات اجتماعية، بل وحتى التفسيرات وتوظيفها لفهم واقعنا الاجتماعي وتفسير شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة فيه"[2]

ويوكد درنوبي، قد مرت العقود الخمسة الأخير من القرن العشرين على تاريخ العلوم الاجتماعية والإنسانية في الجزائر وفي العالم العربي، وهي تعاني من هيمنة ثقافة الشارع السياسي ورموزه الفكرية، وقد دفعت تلك الهيمنة حداً دفعت إغراءاتها بعض الباحثين في هذه التخصصات إلى مغادرة أسوار الجامعات والمعاهد والانتقال إلى الشارع السياسي." [3]

وفي خضم النقد الكبير الذي انصب على علم الاجتماع وعلى مؤسسي علم الاجتماع العربي والباحثين من بعدهم، وهو صادر من داخل البيئة الاجتماعية نفسها، أي من باحثين أو أساتذة جامعات أو مفكرين، وفي كل الأحوال فهذا النقد قد يُفضي في بعض الأحيان إلى الانتباه إلى الأخطاء وإصلاحها كما خط ابن خلدون من قبل، وقد يكون له أثر آخر، وإن كان الباحث يميل إلى التريث عند إلقاء اللوم سواء على الغرب أو المؤسسين أو الباحثين، وربما يكون ما كتبه عبد اللطيف، بمثابة شيء إيجابي يتماشى مع ما نرنو إليه في هذا البحث حيث قال:" في هذا الإطار تمثل لحظات النقل والتقليد التي عرفتها المؤسسات البحثية العربية خلال الخمسين سنة المنصرمة، وهي عمر البحث الاختباري في مجال العلوم الاجتماعية لحظات فعل تاريخي قابل للفهم والتعقل والتجاوز.

صحيح أن شروط ومرجعيات البحث العلمي في الوطن العربي لم تتأسس بعد بما يناسب طبيعة هذا البحث، إلا أن ما أُنجز منها رغم قصوره النظري وقصر زمنه في تاريخ الممارسة العلمية، يظل أرضية تمهيدية قابلة للتطوير، بل لعله يشكل فعلا الأرضية المنطلق لكل مشروع يروم إيجاد مكانة مناسبة للبحث العلمي في الظواهر الإنسانية ببلادنا"[4]

وهكذا يمكن أن نؤسس لعلم اجتماع نابع من أرضية متينة، وتم تأصيله، ووضع رؤية واضحة المعالم لخط سيره.

**الخاتمة:**

---

[1]- محمد الحوراني، مرجع سابق، ص 17.

[2]- سلطان بلغيث، العلوم الاجتماعية في الجزائر بين استاتيكية التنظير وديناميكية الواقع الاجتماعي، أشغال الملتقى الوطني الأول حول " إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر واقع و آفاق "07-08 مارس، 2012م.

[3]- سليم درنوبي، علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية إرهاصات الماضي وتحديات المستقبل، مجلة التغير الاجتماعي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد الأول، العدد الأول، 2016م.

[4]. كمال عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 87. 107)

من خلال التنقل بين كتابات أساتذة الاجتماع العرب وهم يصفون السيطرة الغربية على ما يتعلق بعلم الاجتماع تأصيلاً ومناهج وبحثاً، وكيف أن الدراسات العربية ليست إلا انعكاساً لما تعلموه في الغرب، تبين أنه ينبغي العمل على تأصيل علم اجتماع نابع من الواقع العربي، ولابد من توطين علم اجتماع عربي قادر على دراسة المجتمعات العربية، ويبدو للملاحظ من الوهلة الأولى كأنهم يتحدثون عن آخر ينبغي عليه القيام بذلك، شأنهم كشأن مدير أي مؤسسة عندما يتكلم عن قصور مؤسسته، فيستخدم صيغة ينبغي أن ....، فعبارة: ينبغي أن يكون علم الاجتماع العربي قائماً بذاته لا ينبغي أن يقولها المتخصصون، ربما تأتي من الآخرين، أما أساتذة علم الاجتماع فعليهم العمل، ولا بأس من الاستعانة بالأطر والطرق والوسائل التي استخدمها الغير، فالحياة الاجتماعية للبشر تحمل نفس السمات العامة، والاختلاف عادة ما يكون في الثقافات أو العادات أو الأعراف، فالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية موجودة رغم اختلافها، ومن ثم فإنه عند دراستها يمكن الاستدلال بدراسات أخرى من أي مكان في العالم، وعلى هذا الأساس يمكن استخلاص النتائج الآتية:

ـ يحتاج البحث العلمي في أي مجال من مجالات المعرفة إلى عدة عوامل تسهم في تطوره وتقدمه، وكما لاحظنا

ـ التطور الكبير في دراسات العلوم الاجتماعية في الغرب ناهيك عن العلوم الطبيعية، فلا بأس من معرفة أسباب ذلك التطور والتقدم والريادة التي مكنتهم من التفوق على الآخرين.

ـ تسعى مراكز البحث والجامعات العربية لتحديد مطالبها للقيام بواجبها العلمي والبحثي، وتأتي مسألة التمويل في مقدمة العوامل المساعدة على البحث في العلوم الطبيعية والاجتماعية على حد سواء.

ومع وجود الأجواء العلمية الدافعة للبحث والتجريب فإن البحث العلمي سيثمر بسخاء، فإن كان أسلافنا يعطون للمترجمين وزن الكتاب ذهباً، فإن الموارد المالية الآن أكثر، وكل استثمار في البحث العلمي له انعكاس على الحياة بشكل عام، إضافة إلى أن تقديم التمويل المطلوب للدراسات المختلفة، يجعل مهمة الباحث في المجال الطبيعي أو الإنساني أمام مسؤولياته الأكاديمية والبحثية، مما يدفعه لمزيد العطاء، ومجاراة نظرائه في الدول الأخرى.

**التوصيات:**

ـ يأمل الباحث أن توقظ هذه الدراسة الإحساس بالمسؤولية لدى المتصدرين لموكب علم الاجتماع ـ ولا نبرئ أنفسنا ـ فليبيا ليست شاذة عن القاعدة، فالدراسات الاجتماعية الليبية شأنها شأن العربية سواء بسواء.

ـ معرفة مكامن الخطأ أولى الخطوات نحو إعادة البناء، ولذا وجب تثمين الجهود العربية في مشرق الوطن ومغربه، في مصر والشام والعراق، وفي الجزائر وتونس، ويمكن ملاحظة البوادر المهمة في الدراسات التي ركزت على القضايا المجتمعية اللصيقة بالمواطن.

ـ بالإمكان الاستعانة بالأطر والطرق والوسائل التي توصل لها الغير ويمكن تطويعها لتتماشى مع الواقع الاجتماعي.

ـ أهمية توطين علم اجتماع عربي قادر على دراسة المجتمعات العربية بروح ورؤى عربية.

**المراجع:**

1. إبراهيم البيومي، حالة علم الاجتماع في المجتمعات العربية، رؤية نقدية في حالة علم الاجتماع، مركز نهوض للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2019م.

2. إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008م.

3. إبراهيم مذكور وآخرون، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المجلد الأول، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م.

4. ابن خلدون، تحقيق أ.م.كاترمير، عن طبعة باريس 1858م، المجلد الأول، مكتبة لبنان.
5. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، 2008م.
6. إيمانويل فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه نحو علم اجتماعي للقرن الحادي والعشرين، ترجمة، فايز الصيّاغ، هيئة البحرين للثقافة والآثار، الطبعة الأولى، 2017م.
7. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
8. جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثاني، ترجمة أحمد زايد وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، (2000م.
9. سمير نعيم أمين، النظرية في علم الاجتماع، دار الهاني للطباعة والنشر، الطبعة العاشرة، 2006م.
10. علي ليلة، بناء النظرية الاجتماعية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
11. علي ليلة،النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع، مكتبة الانجلومصرية، الطبعة الأولى، 2015م.
12. كمال عبد اللطيف، تأصيل العلوم الإنسانية في الفكر العربي المعاصر: الشروط المعرفية والتاريخية، منبر الحوار، دار الكوثر، لبنان، 2017م.
13. محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المجدلاوي، الطبعة الأولى، 2008م.
14. محمد عزت حجازي وآخرون، نحو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، 1989م.
15. محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، انتشارات ناصر خسرو، طهران إيران، 1984م.

16. والرستاين إيمانويل، علم الاجتماع الغربي مُساءلة ومحاكمة، ترجمة، محمود الذوادي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، أميركا، الطبعة الأولى، 2011م.

**بحوث ورسائل جامعية:**

1. آمال بن سعدة حسين غريب، العلوم الاجتماعية في الوطن العربي بين استاتيكية التنظير وديناميكية الواقع، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، المجلد 2 العدد 5، 2017م.
2. حسين مرجين، سالمة بن عمران، هل هناك حاجة لأقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية؟. مجلة التغير الاجتماعي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد الثالث، العدد الأول، 2018م.
3. سلطان بلغيث، العلوم الاجتماعية في الجزائر بين استاتيكية التنظير وديناميكية الواقع الاجتماعي، أشغال الملتقى الوطني الأول حول " إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر واقع و آفاق "07-08 مارس، 2012م.
4. سليم درنوبي، علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية إرهاصات الماضي وتحديات المستقبل، مجلة التغير الاجتماعي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد الأول، العدد الأول، 2016م.
5. سهى حمزاوي، سامية كواشي، إشكالات علم الاجتماع في الوطن العربي، قراءة تحليلية لاعترافات بعض علماء الاجتماع العرب، مجلة العلوم الاجتماعية العدد 28، مارس، 2017م.

6. عبد الحليم مهورباشة، التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع، مقاربة في إسلامية المعرفة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، جامعة سطيف02، الجزائر، 2014م.
7. كمال بوقرة، عبد المالك همال، علم الاجتماع في الوطن العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 16، 2015م.

| عنـــــــوان البحـــــــــــــث | رقم الصفحة |
|---|---|
| شرح نظم "الذريعة إلى فهم مقاصد الشريعة" لناظمها الشيخ الدكتور فرج علي الفقيه<br>شرح وتعليق د. جمال عمران سحيم | 7 |
| الماء وبُعده المقاصدي والوقائي دراسة حديثية تحليلية<br>د. عبد السلام الهادي الأزهري | 30 |
| علم الاجتماع العربي بين الواقع والمأمولة<br>"دراسة لإمكانية الرؤية والتأصيل"<br>د. سالم محمد الحاج. | 47 |
| إدمان الشباب على وسائل التواصل الاجتماعي<br>دراسة ميدانية لطلاب كلية التربية جامعة المرقب<br>د/ جمعة عبد الحميد شنيب | 61 |
| دور الحكماء في إرساء قواعد الضبط الاجتماعي بمنطقة مسلاته.<br>د. سالم مفتاح أبوالقاسم | 83 |
| قدرة الاقسام العلمية على تلبية احتياجات سوق العمل من وجهة نظر الطلاب<br>إعداد الدكتور / ناصر مفتاح الزرزاح | 100 |
| ظاهرة التنمر المدرسي لدى طلاب المرحلة الإعدادية وسبل مواجهتها من وجهة نظر الاخصائيين والمعلمين<br>د. فاطمة محمد أبوخشيم | 113 |
| دور مؤسسات رياض الأطفال في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي لدى الطفل من وجهة نظر المربيات<br>د. حنان سعيد علي سعيد | 134 |
| ليبيا والهجرة غير الشرعية (1990م -2013م)<br>(دراسة تاريخية تحليلية نقدية)<br>د. فرج محمد الدريع | 156 |
| الكتابات والألقاب النسائية الجنائزية في منطقة شمال بلاد القوقاز<br>خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي<br>د. حنان سالم عبدالله زريق | 168 |
| جذور فلسفة العدالة عند اليونانيين والمسلمين<br>زينب خليفة حسين<br>جامعة غريان، كلية الآداب، قسم الفلسفة | 189 |
| العلة الحقيقية للوجود من وجهة نظر<br>(الفلاسفة الطبيعيين مروراً بأفلاطون وأرسطو)<br>د.آمنة عبد السلام الزائدي | 204 |